بوصلة انتماء

هي أرض لا طال ما كانت موطنا للحب و الموادة و الرحمة قبل قيام الاحتلال عاشت مساجدها إلى جانب كنائسها في تناغم و حب تام

عرفت بأرض الزيتون فأصغر شجرة زيتون فيها عمرها يقاص بالقرون. على هذه الأرض الحبيبة شعب عظيم أناس أشداء على الأعداء يبثون في قلب العدو رعبا لا يستطيع أن يخفيه فيواجهه بالعنف و الدمار

سمعت مقولة في الأوينة الأخيرة يقولها الأطفال الذين يلعبون في الشارع هذه الكلمة الصادقة التي خرجت من أفواه أطفال معظمهم بل كلهم لا يعرفون معنى فلسطين و لا الأقصى المبارك بسبب تربيتهم البعيدة كل البعد عن مقدسات الإسلام و قضايا الأمة

تقول : كل شيء يصنع في الصين إلا الرجولة تصنع في فلسطين

نعم هي فلسطين التي تربى فيها أسود على هيئة رجال و بعد أن أقيم على هذه الأرض المباركة كيان الاحتلال الذي لا أحد يخفى عليه مجازرهم التي بقي بعضها محفورة في ذاكرة الأمة العربية و الإسلامية

كحادثة محمد الدرة التي هي مجرد نقطة في بحر من المجازر لشعب كل ذنبه أنه يدافع عن أرضه المسلوبة و حقه الضائع منذ ما يزيد عن سبعة عقود ، هذا الشعب العظيم الذي لا ينجب سوى الأسود

أبى أن يتخلى عن شرفه و عرضه و أرضه التي من ضمنها أحد أعظم المساجد ألا و هو أولى القبلتين و ثالث الحرمين الشريفين المسجد الأقصى و هو أحد بقاع الأرض التي يشد لها المسلمون الرحال و التي لديها مكانة عظيمة في قلوب المؤمنين ، يحتوي المسجد الأقصى على عدة أبنية و عدة معالم يصل عددها إلى مئتي معلم منها مآذن و منابر و آبار و أرويقة و قباب و محاريب و غيرها من المعالم العظيمة التي لا تقدر بثروات الدنيا و من لا يعرف قيمة الأقصى فهو جاهل بدينه و دنياه كما يشمل المسجد الأقصى كلا من قبة الصخرة المشرفة (القبة الذهبية) و الموجودة في موقع القلب منه و الجامع القبلي (دي القبة الرصاصية)

الواقع أقصى جنوبه ناحية القبلة

و لقد ثبت في الحديث الشريف أن المسجد الأقصى هو ثاني مسجد وضع على الأرض

عن ابي ذر الغفاري قال : قلت يا رسول الله أي مسجد وضع على الأرض أولا قال : المسجد الحرام قلت ثم أي قال : المسجد الأقصى ، قلت كم كان بينهما قال : أربعون عاما ثم أينما أدركتك الصلاة فصله فإن الفضل فيه " رواه البخاري "

هذه الأرض الحبيبة لم يخلد التاريخ أعظم منها على الإطلاق. فهي أرض المحشر و المنشر و هي أول أرض أقسم الله بها في القرآن الكريم

يحكى أن السلطان العثماني عبد الحميد عرضوا عليه ثروة كبيرة في مقابل فلسطين ليكون رده

" لا أستطيع بيع حتى و لو شبر واحدا من هذه الأرض ، لأن هذه الأرض ليست ملك لي بل هي ملك لكل

المسلمين ، و الله لو قطعتم جسدي قطعة قطعة لن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين

كم أتمنى أن يسمعها من يبيع فلسطين في سبيل أمور دنياوية و يخون الله الذي لن يرى

الجنة إلا برحمته و يخون الرسول الذي لن ينال عفوا الله تعالى و مغفرته إلا بشفعاته

فهي الأرض المباركة ، لأن عظامة المسجد الأقصى لا تقل عظامة عن المسجد الحرام و المسجد النبوي

فهو بوصلة انتمائنا و شرف أمتنا و إن ضياع المسجد الأقصى هو ضياع للدين و الدنيا و الآخرة

مهما تكلمنا و حكينا فلن نوافي الأرض الحبيبة المباركة و المسجد الأقصى حقهما. نسأل الله أن يرزقنا

و لو سجدة على هذه الأرض الحبيبة المباركة .....

في مدينة القدس المحتلة ، يسير محمد رجل أربعيني بخطوات ثابتة ثبات الجبال العالية كوفيته على كتفيه

بذقن شعره كثيف به لطعات بيضاء لباسه فلسطيني يحكي مجدا كان و ما زال و سيبقى إلى أن يرث الله

الأرض و من عليها مجد عظيم عظامة أشهق الجبال ، وقف محمد أمام مدرسة ابتدائية مبتعدا عنها بخطوات

و مرت بضع دقائق و محمد ينظر إلى الباب نظرة متلهف إلى وجه عزيز ، بعد لحظات فتح الباب فإذا بسرب

من التلاميذ يخرجون كطيور منطلقة من أعشاشها مع خيوط الفجر ، من بين سرب التلاميذ هذا ظهرت بيداء

طفلة في الثاني عشر من عمرها تبدو كالوردة الناظرة حجبيها كقوس الهلال ابتسامتها كشروق الشمس بعد

يوم ممطر ، تضع محفظتها على ظهرها و تركض باتجاه محمد الذي يقف فاتحا دراعيه لابنته كأحضان هذا

الوطن العظيم ، وصلت بيداء إلى حضن والدها الدافئ لترسم على وجهها ابتسامة مشرقة مثل شروق قلبها

الصغير و وضعت يدها في يد والدها و مضوا ضاحكين ، كان يسير محمد ممسكا بيد بيداء بحنان و هو

يشعر أنه يسير بجوهرة ثمينة وسط السائرين في الشارع عن يمينه و شماله و كيف لا يشعر بأنها جوهرة

و هي فعلا كذلك و ما هذه الطفلة الصغيرة إلا جوهرة نادرة من سللة العظماء من نسب كريم من أم طاهرة

و أب يسري في دمه حب الأرض المقدسة لدرجة أنه يمكنه خلع الجبال لأجلها فمن عاش في هذه الأرض

الطاهرة المباركة فهو يعلم أن بعد المسلم عنها كبعد السمك عن الماء ، فهي الشرف و العرض و الكرامة

فحفنة تراب منها أكبر قيمة من الدنيا و ما عليها

هنا بيت أسرة محمد ، بيت متوضع على الطراز القديم ، في باحة المنزل تجلس أنيسة والدة محمد إمرآة

في أوائل التمانين ، بلباسها الفلسطيني الأصيل الذي يشهد على أصالة و عظامة هذه المرآة

تجلس أنيسة على كرسي خشبي و سبحة في يدها تسبح لله سبحانه و تعالى ، وحده لا شريك تحمده على

هذا الوطن العظيم داعية الله تعالى أن يدحر أعداء الله عن هذه الأرض الحبيبة دات الشعب العظيم

في مطبخ المنزل ، فاطمة زوجة محمد إمرآة في أواخر التلاثين ، يكسوا جسمها من رأسها إلى رجليها

ثوب فلسطيني لونه بين الأحمر و الأسواد من تراث فلسطين الغني ، و هي تعد طعام الغذاء منتظرة الغائبين

من الأسرة أن يأتوا ليجتمعوا على وجبة الغذاء ، و ما هي إلا لحظات حتى بدأت طرقات خفيفة متقطعة

بباب المنزل مما جعل فاطمة تترك عملها بالمطبخ لتسارع لفتح الباب بخطوات ليست بثقيلة ، إنها درية صديقة أنيسة والدة محمد إمرآة في أوائل الستين بعد السلام و المصافحة و السؤال عن الحال و الأحوال دخلت درية و جلست مع أنيسة بمفردهم

أنيسة : " كيف حالك يا درية ".

درية : الحمد لله الذي أمداني بالصحة و العافية لكي أصل إلى صديقتي العزيزة فهي لم تعد تسأل عني

ضحكت أنيسة ضحكة خفيفة سرعان ما قطع ضحكتها سعال خفيف

أنيسة : و الله يا درية صحتي لم تعد تسمح بالمشي الطويل و البركة فيك فأنت ما زلت تسألين من حين للآخر

ابتسمت درية ابتسامة مشرقة كشمس الضحى

درية : أنا أتيتك هذه المرة لأمر مهم و في غاية الأهمية أسأل الله أن يسهل الأمر و يجعل فيه خير لنا جميعًا

تبدار بعض القلق و قطب وجه أنيسة بنظرة تسائل مستفسرة

أنيسة : خيرا إن شاء الله لقد أقلقتني ماذا هناك

ابتسمت درية ابتسامتها المشرقة لتهدئة أنيسة و طمئنتها قائلة : هل تذكرين إبني أحمد الذي كان يأتي معي

و هو طفل صغير يبلغ ست سنوات

صمتت أنيسة برهة تسترجع ذكرياتها متحدية ضعف ذاكرة سنها ، ثم ابتسمت ابتسامة طاهرة تعكس بياض

قلبها و قالت : نعم أذكره لما لم تحضره معك

ضحكت درية و قالت : أحمد لم يعد طفلا إنه رجل يبلغ من العمر خمسة و عشرين سنة و هو بطل من أبطال

الوطن يعمل لدى المقاومة

بسم الله تبارك الله و الصلاة و السلام على سيدنا محمد قالت أنيسة

و أضافت درية أن أحمد أصبح رجلا و أريد أن أرى أطفاله قبل موتي لذلك أتيتك

ابتسمت أنيسة و هي لا تفهم ما المطلوب و قالت : هل تريدين مني أن أرشح لك فتاة للزواج

قطعتها درية قائلة : لا لقد وجدت عروسا لإبني ، أنا أتيتك لخطبة حور ابنتكم

بدى فرح طبيعي على أنيسة و قالت : و الله لن تجد ابنتي حور أحسن من إبنك و لكن أنت تعرفين أصولنا

داعيني أستشر الفتاة و أخوها محمد و إن شاء الله سأرد عليك بخبر مفرح

في أحد المستشفيات الأهلية في القدس المحتلة ، يدخل مجموعة من الشباب يحملون طفل يبلغ من العمر

أربعة عشر سنة على أكتافهم و ركبته و ما تحتها غارقين بدمه و هو بين الوعي و فقدانه أحيانا تراه مستيقظا

و أحيانا مغما عليه ، وضع الشباب الطفل على سرير بالمستشفى و هم يطالبون أي أحد أن يأتي لينقذ الطفل

من الآلم بسبب شضايا الرصاص التي تستقر في رجليه ، هاهي طبيبة تركض باتجاه الطفل الذي أنينه يملئ

أركان القاعة ، إنها حور تمشي بخطوات البرق باتجاه سرير الطفل، فتاة في متوسط العشرين يكسوا جسمها من رأسها إلى أصابع رجليها ثوب إسلامي فلسطيني و حجاب إسلامي يعكس أخلاقها الرفيعة و فوقه و زرتها الطبية

فلا يرى منها إلا كفيها و وجهها الذي يشع كالبدر من بعيد

ركضت حور بقلق باتجاه سرير الطفل لتسأل الشبان من الذين أحضروه ما الذي حدث له فقال قائلهم

لقد كنا في أحد المظاهرات ضد الاحتلال فقام جنود الاحتلال بإطلاق النار علينا ، و هنا عادت صور من طفولة حور إلى ذاكرتها في ذلك اليوم المشؤوم الذي زرعت فيه خمسة رصاصات في صدر علي أبو محمد والد حور من رشاشات الاحتلال بينما حور التي كانت تبلغ تماني سنوات تنظر إلى دم أبيها الذي يندفق كالسيل ليروي الأرض المباركة ، تذكرت حور المريض الذي يأن ألما بجانبها فترحمت على روح والدها الطاهرة و بشرت عملها لتنقذ روحا لا تزال تستنشق الهواء لم يأخذ منها بعد حقها في الحياة

أنهت عملها و في ميعاد نهاية دوامها خرجت حور من المستشفى متجهة إلى بيت الأسرة و هي تعلم أن فاطمة زوجة أخيها محمد تنتظرها كالعادة بوجبة الغذاء ، و لذلك سرعت حور الخطى لا علها تصل في أقرب وقت ممكن ، و للحظ العاثر لم تشعر حور بنفسها إلا و هي تسير في شارع في آخره نقطة تفتيش عسكرية تابعة لليهود حيث يقف مجموعة من الناس ، نسائا و رجالا و أطفال بينما يقوم الجنود بالتفتيش الذاتي لهؤلاء الفلسطينيين ، فكرت حور بأن تعود أدراجها لتمر من شارع آخر لكنها لم تستطيع ذلك بعد أن رمقها أحد الجنود من بعيد فلو عادت فسيطاردنها ظنا منهم أنها من المبحوث عنهم الذين أقيمت لأجلهم نقطة التفتيش هذه و قد تعتقل لسنين و عقود على ذمة التحقيق ، لذلك تقدمت حور بخطوات مترددة لتمر بعد أن يتم تفتيشها كبقية الناس ، بينما كانت حور تقترب أكثر كانت تلاحظ أن أحد الجنود يدقق في وجهها بطريقة أثرت موجة من الارتباك و القلق لدى حور و وقفت حور في طابور التفتيش و ما هي إلا لحظات و حان دورها لتجد نفسها أمام ذلك الجندي الذي كان يدقق في ملامح وجهها و الذي ما إن وقفت أمامه حتى بادر بتفتيشها ، و بينما تقف حور منتظرة الجندي أن ينهي تفتيشها بدأت تحس أن يديه بدأن يثقلن على جسدها في مناطق حساسة فكان هذا الجندي يمرر يده على خصرها و يصعد إلى صدرها و يكرر ذلك عدة مرات مما جعل حور هذه الفتاة الطاهرة تفهم مقصود من ملامسته هذه و ما زاد أكد لها الأمر هو ابتسامات الاستهزاء التي كانت تصدر عن زملاء هذا الجندي ، فرفعت حور بصرها بتجاه الجندي و هي تكتم دموع القهر و الإهانة إلى وجه الجندي الذي وجدته يبتسم نفس الابتسامة المستهزئة بينما يكاد يصدمها بجسده الضخم و الطويل

و بقيت حور تقف ما يقارب عشر دقائق أو أقل بينما الجندي يلامس جسمها ملامسة مهينة للكرامة بحجة التفتيش و حور تقف و عينيها يكادن ينفجرن بدموع القهر و الاحتقار الذي تشعر به ، و أخيرا قرر الجندي ترك حور بعد أن لم يترك مكانًا بجسدها إلا و ضغط عليه ضغطات تكون مؤلمة حتى للجسد في بعض الأحيان ، انصرفت حور بعد أن آذن لها الجنود بالانصراف ، مشت حور ممسكة بيدها على فمها مانعة نفسها من البكاء بينما لم تعد تستطيع السيطرة على دموع عينيها ، مشت حور هذه الفتاة الطاهرة بخطوة سريعة شبه راكضة حتى أصبحت بعيدة و ما هي ببعيدة ، و في شارع ضيق يكاد يكون فارغا إلا من بعض الأطفال الصغار الذين يلعبون فيه راكضين ذهابا و إيابا ، اتكأت حور على حائط أحد المنازل ناظرة إلى السماء ، وجلست حور على الأرض جلست الفتاة الطاهرة على تراب الأرض المقدسة و انطلقت تبكي كاليتيم التائه الذي تنكر له أهله متخلين عنه للذئاب لتنهشه كما تشاء ، دعت حور ربها و ربنا و قالت : ربي إني آمتك الضعيفة التي لا حولة لي و لا قوة ، ربي إنك تعلم ما يسيرون في أنفسهم لأجلي ، ربي لقد كسرت خاطري و أحسست أني وحيدة و ما أنا بوحيدة و أنت يا أللهِ موجود ، ربي أنزل جنود الحق من عندك فلم يعد على أرضنا لا عمر و لا صلاح الدين ربي إننا نموت ألف مرة قبل أن نموت بالرصاص و نصرخ و لا يسمع صراخنا إلا لمن يشمتون لحالنا و أنت القادر على كل شيء ، ربي لقد أمرتنا بالحجاب و نزعوه عنا و أمرتنا بالصلاة و منعوا بيتك العظيم عنا (و من أظلم ممن يمنع بيوت الله أن يذكر فيها اسمه) صدق الله العظيم) ، استجمعت حور قوتها من جديد و هي تعلم أن الله يسمع و يرى ، و نهضت من على الأرض و مشت باتجاه المنزل و قلبها منشرح و كأن الله سبحانه و تعالى ألقى في قلبها الطمأنينة ليقول لها (لا تحسبن الله غافل عما يفعل الظالمون) في بيت الأسرة و على مائدة الطعام يجتمع أفراد الأسرة على وجبة الغذاء ينظرون إلى الأكل الذي أمامهم و لا يمدون يدهم له كضيوف ابراهيم منتظرين قدوم حور ، التي فشلت محاولتها في القدوم في موعد الغذاء فهي بقيت خارجا حتى هدأت لأنها تعلم أنها لو ذهبت للبيت باكية فسيجبرها أخوها محمد على قول ما جرى لها و سيفتعل مشكلة مع الجنود قد تتسبب في استشهاده أو اعتقاله و هو رب أسرة و مسؤول عن زوجة و إبنة و إبن لم يقفل العام بعد كما أنه هو رجل البيت بعد استشهاد والده ، و بينما تنتظر الأسرة جميعها قدوم حور ، كانت أنيسة تسبح كعادتها و هي تهمس مستغفرة الله تعالى ، و فجأة توقفت و بدأت ترمق محمد بنظرات متقطعة بين الحين و الآخر مما آثر انتباه محمد و زوجته مما جعل فاطمة زوجة محمد تهمس لزوجها قائلة : يبدو أن أمك لديها ما تقول لك و لكنها مترددة فسألها ما بها لا علاها تحتاج شيئا ما امتثلى محمد لنصيحة زوجته فاطمة على الفور و سأل أمه قائلا : أراكي يا أماه تريدين قول شيء و لكنك مترددة فهلا أفصحتي على ما يدور في خاطرك ، فأخبرت أنيسة محمد بأمر صديقتها درية التي أتاتها طالبة يد حور لابنها أحمد ، رحب محمد بالأمر بكل احترام و قال : لو كان شابا جيدا و خلوقا و طيبا

و سيخاف الله فيها و سيعاملها بالمعروف فأهلا به ، فرحت أنيسة بذلك و بينما و هم يتحاورون دخلت عليهم حور بابتسامة مشرقة ناسية كل همومها و الألم الذي عصف بقلبها الطاهر منذ وقت ليس ببعيد ، نهضت بيداء التي كانت تجلس إلى جانب والدتها راكضة فارحة مستبشرة بقدوم عمتها حور ، و ركضت بيداء إلى حضن حور التي احتضنتها و جلست و هي تلاعبها و يضحكن مع بعضهن البعض و بعدها تناولوا وجبة الغذاء و مر باقي اليوم بسلام

و ها هو الليل قد أتى لتظلم المدينة المقدسة ظلاما ينضاف إلى ظلام الاحتلال ، و نام الجميع إلا حور التي لم تستطيع النوم في تلك الليلة ، شيء ما كان يخبرها أنها داخلة على عقبة في حياتها ، و بينما تستلقي حور على سريرها و عينيها ضاربات في السقف ، فإذا بحور تسمع صوت بكاء صغير ، إنه زياد إبن أخيها البالغ من العمر عشرة أشهر الذي استيقظ يبكي و أمه فاطمة نائمة لم تسمعه ، فستبشرت حور بهذا النداء البريء و كأنها كانت تنتظر أي سبب يجعلها تنهض من على سريرها الذي أنهك عظامها و لم يأتي النوم بعد ذهبت حور إلى الغرفة التي بها سرير صغير ينام عليه رضيع ، إنه زياد الذي يبكي حاكما قبضتيه و ضماهما إلى صدره كالجوهرتين ، تقدمت حور نحوى زياد و حملته بحب و حنان كأم وجدت رضيعها التائه بعد مشاقة بحث ، و بدأت حور تداعب زياد بالأحضان و القبلات و هي تحاول إضحاكه إلى أن هدأ و استسلم للنوم من جديد ، و وضعت حور الطفل زياد في مكان نومه ، انطلق زياد في النوم و هو يبتسم بين الحين و الآخر و مع كل ابتسامة يزداد خفقان قلب حور و تزداد لهفة غريزتها الأمومية ، كانت حور تنظر إلى الطفل زياد بعينين لامعين و ابتسامة طاهرة تعكس اندفاق حنانها و كأنها تحتضن جوهرة ثمينة و هي تحلم و تسافر بأحلامها داعية الله تعالى أن يهابها من لدنه ذرية صالحة تقر بها عينها ، و ما إن قالت آمين منهية دعائها حتى وضعت

يد دافئة على كتفيها ، إلتفتت حور لتجد أمها أنيسة تقف إلى جانبها مبتسمة بإشراق ، و قررت أنيسة أن تخبر حور بأمر أحمد الذي أتت والدته درية لخطبة حور ، فرحت حور كأي فتاة أتاها رزقها ، و تمت الخطبة و في يوم جمعة مشمس تم تحديد يوم الخطبة حيث اجتمع الأهل و الأقارب ، أهل حور و أهل أحمد و تعرف أحمد على حور و كانت فتاة جميلة و على خلق و طيبة القلب ، رأى فيها أحمد الزوجة الصالحة التي يريدها أحمد يعمل جنديا لدى إحدى فصائل المقاومة الفلسطينية فحياته حياة عسكرية و غير آمنة فأعداء الله لا يتركون حتى من لا يعارضهم فما بالك بمن يقاومهم و يرفض حتلالهم ، و هذا ما كان يقلق حور و يجعلها تخشى أن يصيبه أو يصيبها مكروه أو في حالة وجود أطفال يتأذون على يد أعداء الله ، و كانت حور تستيقظ فجر كل يوم و تصلي و تدعو في سجودها المولى عز و جل أن يحفظ أحمد من مكر الأعداء ، و أن يرزقه الله القوة و الثبات و يغالبه هو و رفاقه على العدو المحتل ، و كلما اقترب موعود الزفاف كانت حور تختلط عليها مشاعر القلق و الفرح في نفس الوقت و كأنها تحس بفقدان هذا الشاب الذي أحبته و بدأت تعلق آمالها عليه

و تتمنى أن يجمعهم بيت واحد ، كان سيكون أجمل و أكثر أمانا لولا وجود المحتل ، فلولا وجود المحتل لا ما احترقت قلوب نساء فلسطين كل يوم على إبن أو بنت من أبنائهن الذين يذهبون من أيدهن قبل حتى أن يفرحن بهم فالمحتل لم يرحم يومًا لا شيخ كبير و لا امرأة ضعيفة و لا طفلا صغير فكلما أرد أن يلهو بإزهاق أرواح خلق الله سبحانه و تعالى يختلق سببا ليسفك دماء المسلمين ، فالمحتل يقتل و يهد و يشرد و الحكام يدينون أعماله التخريبية في وسائل الإعلام و الجرائد

و متى دفعوا و لو حتى بكلام مباشر واضح و صريح ، فكل ما يفعلونه يحاولون إحباط الشعب الفلسطيني و جعله يرضى بالأمر الواقع و ينسى حقوقه الضائعة ، و لكنهم سرعان ما يفشلون في ذلك فلو نسيت الدنيا شعب فلسطين لن ينسى فشعب فلسطين لا تغير الأزمات و العقبات من عزيمته و إيمانه بالله سبحانه و تعالى و قضيته العادلة ، و هذا بشهادة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال :

لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لعدوهم قاهرين لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من الإواء حتى يأتيهم أمر الله و هم كذلك قالوا : و أين هم يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وسلم : ببيت المقدس و أكناف بيت المقدس " الإواء " : : ضيق العيش

فمن يقول أن الفلسطينين باعوا أرضهم فليتذكر هذا الحديث فهو ممن لا ينطق على الهوى ، إنه سيد الخلق حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، فبشركم يا أهل فلسطين العظماء فهذا سيد الخلق قال فيكم كلمة صدق و صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما المرآة الفلسطينية فهي سيدة العالم

على الرجال أن يخجلوا منها ، و على القمر أن يتورى ، أنحني و أقبل يد كل امراة فلسطينية ....

الفقيرة اليتيمة الأرملة الثكلى أم الشهيد و الجريح و الأسير .....

عندما انهار الاتحاد السوفيتي ، امتلائات علب الليل بنساء جئن ليرقصن على أشلاء الوطن ...

و عندما سقطت ألمانيا ، سقطت معظم النساء في أحضان المحتل ، و بعد تحرير فرنسا كان يتم حلق شعر عشرات النساء من كل شارع لأنهن تعاون مع النازي

في معظم البلاد التي تم احتلالها انتشرت الحانات و المواخير ، و امتلئت بنساء البلد يرفهن عن جنود الاحتلال

إلا أنت يا أم الطهر و الشرف و العفاف فلم تقدمي نفسك إلا شهيدة ، إلا أنت يا غصن الزيتون يا شجرة الكرم يا نبع الشرف ، عصرتك المحن و انهالت عليك المعاول فلم تنعصري ، و لم تنكسري

يا أمي

يا ابنتي

يا أختي

اسمحي لأخيك العربي المسلم المحب أن يتذكرك فقد نسيك كثيرون

يا صابرة يا طاهرة يا أغنى من ساكنات القصور ، تراب الوطن الذي يعفر وجهك ، كسحب تعانق وجه القمر أجمل و أنبل من كل المساحيق .....

جلبابك المثقوب لا أدري من ثقبه يا سيدتي ..... هل رصاصات العدو على ظهرك ، أم نظرات الحسد على طهرك

أيتها الأميرة النبيلة الأصيلة ..... جعت فرضيت بالكفاف و تعريت فاكتسيت بالعفاف

أنت السيدة بين السيدات ، فوق السطوح تراقبين وطنك أو تحت الأنقاض تحضنين طفلك .....

طريق الجنة تحت قدميك ، و مفتاح القدس بين يديك .....

يا أشراف النساء . (بعضه منقول)

و أنا كمحب لفلسطين و شعبها العظيم كم أتمنى أن أنحني تقديرا و احتراما لمن لا تزال مرابطة في بيت المقدس بينما رجال الأمة يبيعون الأرض الحبيبة و المقدسة واحدا تلوى الآخر

و بهذه المناسبة لا ننسى أن نقدم الاحترام و التقدير إلى أمهاتنا و أخواتنا في العراق و سوريا و اليمن و ليبيا و أخواتنا المسلمات في كل شبر على وجه الأرض اللواتي أنهكتهن الحروب و أحرقت قلوبهن على أحباتهن و نسأل الله أن يعوضهن من فضله و يجزهن على صبرهن خير جزاء و يحفظهن من بطش أعداء الله تعالى

..... محمد أخوا حور يعمل في إحدى المطاعم اليهودية التابعة للإحتلال ، حيث يعمل نادلا في هذا المقهى في مدينة الخليل ، يعمل و يقطن مع أحد أصدقائه العازبين في منزله قرب هذا المقهى و يأتي إلى أسرته يومين بينما يقضي خمسة أيام في عمله ، هذا المطعم ملك لأحد اليهود الأثرياء ، في ذلك اليوم كان يوم الإثنين و هو اليوم الذي يعود فيه محمد إلى أسرته ليقضي معهم مساء الاثنين و يوم التلاثاء يعود إلى عمله في المساء ، حيث في ذلك اليوم استدعه صاحب العمل و أعطه أجرته و أخبره بأنهم استغنوا عن خدامته اندهاش محمد من هذا الكلام المفاجئ ، و استفسر عن السبب لكن هذا الشخص رفض أن يخبره بشيء فكل ما قاله له : لا أريدك في (محلي) بعد الآن

بعد فشل محمد في إقناع صاحب العمل في إبقاقه في عمله انصرف عائدا إلى بيته و هو يحمل على ظهره جبال من الهموم و التسائلات و يسأل نفسه ماذا فعل ليطرد فجأة و بدون سابق إنذار ، دعا محمد الله أن تمر أيام الخطوبة بسلام و تتزوج حور في هدوء قبل أن يحدث ما ينغص عليها حياتها ، و جاء محمد بيته و لم يخبر أهله بفصله من عمله ، و مرت باقي الأيام عادية كان يقضيها محمد في البحث عن عمل ، أما خطوبة حور

فمبدئيا للخطبة في فلسطين طقوس و هي من أجمل الطقوس

فللفلسطينيين في الزواج طقوس و عادات تحاول الأسر الفلسطينية

التمسك بها و الحفاظ عليها رغم الاحتلال و اللجوء و الغربة و الألم

للحفاظ على روح و ذاكرة شعب يقاوم تحريف تاريخه الذي هو تاريخ الأمة أكثر ما يقاوم

احتلال أرضه التي هي أرض الأمة كلها كذلك

قد تكون هناك اختلافات بسيطة في مظهر ما يمارس من طقوس و عادات في الزواج

بين فلسطينيي غزة و فلسطينيي الضفة و فلسطينيي ما يسمى بتمانية و أربعين

و فلسطينيي اللجوء في كل بقاع الأرض ، إلا أن أصل العادات واحد ، و يحاول معظم

الفلسطينين الحفاظ عليها قدر استطاعتهم

الخطوة الأولى اختيار العروس : مهمة اختيار العروس في العادة موكلة إلى أم الشاب

إذ لا يوجد في فلسطين نظام الخاطبة فإذا لم يكن لدى الشاب قريبة كإبنة عم أو عمة

أو إبنة خال أو خالة و يرغب بالزواج منها ، تتفق الأم مع صاحباتها و قريباتها على وضع

قائمة بالفتيات اللواتي يردن خطبتهن للشاب ، وفق شروط و مواصفات يضعها لشريكة

حياته ، و عندما يقع اختيار الشاب على فتاة

تذهب والدته إلى منزل الفتاة ، و تطلب يدها من والدتها ، و من عادة أهل فلسطين

أن يعطي أهل العريس ذوي الفتاة مهلة كي يسألوا عن العريس و أهله ، و أخلاقه و تدينه

و استقامته

و بعد انقضاء المهلة تعود والدة العريس إلى بيت الفتاة لسماع الرد و إذا كان ردا إيجابيا بالموافقة

يتم تحديد يوم كي يشاهد العريس عروسه ، و لتشاهد العروس عريسها ، و في الموعد المحدد يزور

العريس و والدته و والده بيت العروس ، فترحب بهم عائلة العروس بحضور أعمام العروس و إخوانها

و تدخل العروس و بيدها القهوة و تسلم على الحضور و تجلس قليلا كي ترى العريس و يراها

و قد يتم في هذه الجلسة الإتفاق على المهر ، و قد يترك الأمر لعدة أيام

ثم يعود عدد من كبار العائلة و أصحاب الكلمة فيها (الجاهة) ، إلى بيت العروس و يطلوبنها بشكل رسمي

و يبدأ الحديث عن المهر و المؤخر و أثاث البيت ، و غير ذلك من الأمور و تتفاوت المهور بين عائلة و أخرى

سواء المعجل أو المؤخر ، و بعد الاتفاق بين جاهة العريس و أهل العروس يتم تحديد يوم يسمى

" يوم التقبيضة " و فيه يدفع المهر المعجل للعروس

و يدعى الأصدقاء و الأصحاب و الأقارب ، و تقدم الحلوى " بقلاوة أو كنافة " إلى جانب المشروبات

الغازية والقهوة السعادة ، و هذه هي أول خطوة من خطوات الزواج الرسمية و المعلنة أمام الملأ

و في موعد آخر يأتي المأذون إلى بيت العروس لإجراء العقد أو يذهب العروسان إلى إلى محكمة شرعية ليكون عقد الزواج أمام قاض شرعي ، يسأل العروس في رغبتها في الاقتران بالعريس ، كي لا تكون مجبرة على ذلك ، و هذه الخطوة تعد الأكثر شرعية و توثيقا بين العروسين ، و يتم فيها إعلان الخطوبة ، و تقديم الشبكة و توزع فيه الحلويات

و لا يسمح أهل فلسطين حتى بعد عقد الزواج في الغالب بخلوة العريس مع عروسه بخروجهما إلى الأماكن الخاصة أو العامة إلا برفقة أحد الأقارب فالمجتمع الفلسطيني مجتمع محافظ ، و قد تطول أيام الخطوبة أو تقصر ، و بعد عدة شهور يتم الإتفاق على موعد الزفاف

الذي يحدده الطرفان معا ، حيث يجهز العريس نفسه فيجهز بيت الزوجية ، و يحجز صالة الفرح و يطبع الدعوات و يوزعها .....

و تسمى ليلة الزفاف ب " ليلة الحنة " سواء للعريس أو للعروس ، فالعريس قبل ليلة الزفاف يكون قد دعا الأصدقاء إلى سهرة شبابية و تدعو العروس صديقاتها و قريباتها لتوديعهن و إقامة حفل صغير لها

و في الصباح ، و في منزل العريس يشرع ذويه في ذبح الولائم و تحضير الغذاء ، أو يدعون الناس للذهاب إلى صالة الأفراح ، و في الموعد المحدد لنقل العروس إلى بيت الزوجية ، يذهب العريس و أهله رجالا و نساء إلى منزل العروس ، و قد زينوا سياراتهم و خاصة سيارة العروسين بالزهور و الأكاليل و تعزف الموسيقى الشعبية ، و تخرج السيارات في رتل كامل و هي تطلق صفاراتها ، و تأخذ في السير بعرض الشارع حتى منزل العروس التي تكون على أهبة الإستعداد ثم تخرج العروس مع عريسها و إخوانها و والديها

و أعمامها و أخوالها إلى سيارة العريس لتنتقل إلى بيت جديد و حياة جديدة

..... و بعد أن مرت حور بكل هذه الطقوس الفلسطينية التي هي قمة في الروعة من حيث بساطتها

و عدم خروجها عن ضوابط ديننا الحنيف ، وجدت حور نفسها في بيت زوجها أحمد ، حيث كان يمتلك أحمد منزلا خاصة مستقلا عن الأسرة ، و بدأت حور حياتها مع رجل طيب القلب لم ترى منه إلا الخير فكان زوجاصالحا و كان أبا لها و أخا و زوج و إبن بار ، و كان يغيب عنها شهور عدة و يكون معها شهر أو شهرين فعمله في المقاومة يجعله ياقضا بشدة و متأهبا لأي بغتة مفاجأة من الأعداء و كل ما كان هناك عملية يستدعونه القادة لها فهو كان من أكفاء الجنود ، مع أن حور كان يزداد خوفها و قلقها كل ما تأخر

و لم يأتي في ميعاد قال أنه سيأتي فيه ، و كانت تفكر أحيانا في أن تطلب منه أن يترك الخدمة بالمقاومة

و لكن سرعان ما تعود لرشدها و تمسك نفسها قائلة إن الدفاع عن وطننا الغالي أهم و عليا أن أفتخر بزوج هو أسد من الله في الأرض المباركة ، و تدعوا حور ربها أن يحفظ زوجها أحمد و يؤيده

هو و كل أسود الله المجاهدين بنصر عظيم يرفع به الله الذل عن الأمة و يعيد لها كرامتها

و ما ذلك على الله بعسير فهو سبحانه و تعالى أمره بين الكاف و النون فإن قال للنصر كن فسيكون بإذن الله و لكن للنصر مقاومات فالله سبحانه و تعالى يقول في كتابه العزيز " إن تنصرو الله ينصركم " ، و لكن النصر في رأيي قبل أن يكون في ساحات القتال يجب أن يكون في حياة كل مسلم لأن الله سبحانه و تعالى غني عن العالمين لذلك أن نصره يكون بالإيمان به حق إيمان و الإلتزام بأمره ، فمن الطبيعي أن لا تنصر أمة معظمها فاسد و مقلد لعادات الغرب ، فكما قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه " نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله " ، و هذا ما نراه أمامنا فنحن أصبحنا نخشى من الغرب أن يقولوا عنا متخلفين و لا نخشى من الله أن يكتبنا من الخاسرين في الدنيا و الآخرة ، يحكى أن جنكيز المغولي لما غزى العراق و حكمها طلب من العلماء المسلمين أن يقابلوه و رفضوا جميعهم خوفا من بطشه فوفق شاب صغير على أن يقابل جنكيز ، و أخد الشاب معه ديك و ماعز و جمل و تركهم خارجا و دخل الشاب على جنكيز ، و لما رأه جنكيز سخر منه و قال : ألا يوجد من هو أكبر منك ليقف أمامي فرد عليه الشاب الصغير قائلا : لو كنت تريد من له لحية فهناك معي ماعز ، و إن كنت تريد من هو ضخم فمعي جمال و إن كنت تريد من صوته عالي فمعي ديك صياح ، لم يستطيع جنكيز الرد و سأل الشاب الصغير و قال : في رأيك لما أنا هنا يا فتى ، فرد الشاب قائلا : نحن قوم إن تركنا دين الله و استهترنا به سلط علينا أعدائنا و جعلهم أقوى و حكم علينا من الظالمين و الخوانة من يعمل لصالحهم فإن عدنا إلى رشدنا و اتبعنا هدى الله سبحانه و تعالى فأنا متأكد بأنك مهما بلغت قوتك لن تستطيع الوقوف أمامنا ، و هنا علم جنكيز أنه يقف أمام من هو أكبر منه بكثير

أما حور فصبرت على حياة زوجها أحمد الغير آمنة ، و احتسبت ذلك عند الله سبحانه و تعالى لا علاه يجزيها على صبرها خير جزاء داعية الله أن يحفظ أحمد و يحميه بجند من عنده

أما محمد أخوا حور فقد بدأت تسوء حاله و حال أسرته بعد أن فقد عمله و أصبح عاطلا لسبب لا يعلمه إلا الله و صاحب العمل ، و بعد أن علمت أمه أنيسة و زوجته فاطمة بالأمر أصبح يحرج من الجلوس في البيت فهو لم يتقبل أن ينظروا إليه كعاطل ، أو بتعبير أصح هذا ما صور له عقله ، فهن يعلمن أن هذا ليس بإرادته ، و لكن كعادة رجال العرب فهم لديهم نخوة و رجولة عالية تجعلهم يرفضون و يثورون حتى على نظرات الشفاقة التي يعتبرها بعضهم إهانة و خصوصا عندما تأتي من نسائهم ، فالرجل وقتها يظن أن زوجته تحتقره ، بينما هي فقط تحاول أن تجعله يحس أن حبها له لم يتغير و أنها ستقف إلى جانبه

و لكنها تحصل على نتيجة عكسية ، و هذا ما حصلت عليه فاطمة فكلما حاولت أن تفتح الموضوع لتهون عليه يغضب محمد و يثور و يزمجر في وجهها و يصل الأمر أحيانا إلى محاولة تعنيف و لكن سرعان ما يستفق

من غضبه و يتوقف و يعتذر طالبا منها أن تقدر الظروف التي هو فيها فهو أصبح عصبي و ليس على ما يرام فحتى طفلته بيداء التي كان يقضي وقت وجوده في المنزل في ملاعبتها و مداعبتها

كل ما اقتربت منه أو حاولت حتى المزاح معه يصرخ في وجهها و ينصرف تاركها باكية و هي لا تعلم ما ذنبها و لا حتى ما مشكلته فهي طفلة صغيرة تريد فقط أن ترى أن والدها يحبها و يلاعبها تريد فقط أن يضحك والدها في وجهها لتذهب للعب و هي مرتاحة ، صحيح أنها لا تعلم ما مشكلة والدها لكنها بقلبها الطاهر و نيتها الصافية تشعر بأن البيت أصبح كئيبا لم يعد مشرقا ، و لهذا أصبحت بيداء تحمل هما كبيرا و هي لا تزال طفلة صغيرة ، في ذلك اليوم الذي بدى لمحمد أنه يوم الفرج ، كان محمد يسير في أحد شوارع البلدة القديمة في القدس المحتلة ، و هناك بالصدفة و بينما هو سارح في همه لا يرى من الناس من يسير حوله عن اليمين و الشمال ، و كأنه يسير هو و همومه فقط في الأرض المباركة فإذا بمحمد يصدم جسد رجل طويل عريض ، إنه مروان رجل أعمال أردني ، استبشر محمد عندما رأى أعز أصدقائه ، فهو يعرف مروان حق المعرفة ، لأنهم درسوا مع بعضهم البعض في أحد الجامعات بعمان الأردنية ، منذ زمان الشباب ، ففرح الأصدقاء ببعضهم البعض فرحا كبيرا و كأنه يوم النصر الذي ننتظره جميعًا ، و كيف لا و هم تقاسموا الحلوة و المرة مع بعضهم البعض و ساعدوا بعضهم البعض ماديا و معنويا أيام الدراسة ، و لكن مروان توفق في مشوار و أصبح شخص مهم ، و محمد منذ أن عاد من الأردن بعد قضاء دراسته و هو يحارب الدنيا و كأنه يقاتل وحشا شريس بلا هدف ، فكل شيء في فلسطين تحت سيطرة أعداء الله و هم لا يقبلون تشغيل من يسمنهم الأممين إلا عبيدا في عمل مهين ، بعد أن تعرف مروان على محمد و تكلموا مع بعضهم حكى محمد لمروان عن ظروفه و عيشته الصعبة حيث استغرب مروان من حال محمد ليس لأنه لا يعلم وضع فلسطين الذي هو تقريبًا وضع الأمة كلها ، بل لأن محمد أيام الدراسة كان طالبا مجد و كل أساتذته يثنون على عبقريته الهائلة فكيف ينتهي به الأمر نادلا في مطعم و مفصول منه ، رقى قلب مروان لحال محمد و أخبره أنه أتى إلى فلسطين صدفة لأمر ما

و لكن لابد أن الله سبحانه و تعالى بعثه لمحمد ، و عرض مروان على محمد أن يؤمن له عملا بمبلغ كبير في شركته بالعاصمة الأردنية عمان ، وقتها أحس محمد نفسه كالغريق الذي مدى له طوق نجاة يأخذه إلى بار الأمان ، وفق محمد و شكر أخاه و صديقه مروان على هذه الخدمة كبيرة التي قدم له و بعد الإتفاق على كل الأمور و كيف سيجهز محمد نفسه للذهاب للعمل في الأردن ، عاد محمد إلى بيته فارحا ليبشر أهل بيته بالأمر ، فتح محمد الباب و دخل إلى المنزل و اتجه إلى المطبخ حيث كانت زوجته فاطمة تعد طعام الغذاء ، فدخل عليها محمد مبتسما و مشرقا و كانت فاطمة لم ترى ابتسامته هذه منذ شهور عدة ، فكان رد فعلها تلقيا حيث سألته و هو يقف بجانبها

في المطبخ و قالت : " هل هدأت الآن " ، فرد محمد و الحماس و الإشراق يتطايران من عينيه قائلا : " لم يعد بإذن الله ما يغضب فلقد عثرت على عمل سيعوضنا الله سبحانه و تعالى خيرا إن شاء الله ، استبشرت فاطمة بالأمر خيرا و استفسرت عن ما هو هذا العمل و هي مشغولة تقطع بعض حبات البصل لتضيفهم للغذاء ، فقال لها محمد أن العمل في الأردن ملك لأحد أعز أصدقائه توقفت فاطمة عن تقطيع البصل و غيم حزن ملحوظ على وجهها النقي ، و نظرت فاطمة إلى محمد باستفسار مندهش قائلة : ماذا ! ، هل تريد أن تذهب للأردن و تتركنا لوحدنا و أنت تعلم أن أعداء الله يتربصون بنا غضب محمد و وبخ فاطمة بألفاظ عنيفة و أخبرهاأنه لن يضيع هذه الفرصة التي ستنقذه من البطالة التي هي عار كبير بالنسبة له

فاطمة تعودت أن يترك البيت خمسة أيام و يعود عندما كان يعمل لدى اليهود ، و لكن انتقاله للأردن سيجعله يأتي مرة في السنة و ربما في سنتين ، أي سيبدو و كأنه خرج من حياتها ، رفض محمد الاستماع لكلام فاطمة و رفضه فكل ما كان يسيطر عليه و قتها هو هذا العمل الذي في الأردن و سيدر عليه دخل كبير فصديقه الأردني مروان قال له أنه سيؤمن له عملا بمبلغ كبير ، فاطمة لم يعجبها الأمر و قالت لوالدة محمد و طلبت لها بإلحاح شديد ، أن تقنع محمد بأن يبقى بجانب أطفاله فالرزاق هو الله سبحانه و تعالى ، ولعلى الله يحدث أمرا رق قلب أنيسة لحال فاطمة التي أتاتها و هي في قمة حزنها و دمعتها في عينيها ، و طلبت فاطمة من أنيسة أن تجعل محمد يبقى بجانبهن و بجانب أطفاله فإن غاب عليهم فيصبحون كما قال طارق ابن زياد : " أضيع من الأيتام على مؤذوبة الذئاب " ، الذئاب الذين لديهم قوة يفعلون بها أي شيء حتى لو وصل الأمر لهتك الأعراض ، تكلمت أنيسة مع محمد بعد استدعائه و قالت له : يا بني إن الرزق من عند الله سبحانه و لو كان غيره يرزق أو بيده أمور العباد لا ما وجد الناس الهواء ليتنفسوا ، يا بني إن حضن أولادك خير من احتضان ثروات الدنيا ، يا بني إحمد الله تعالى على زوجة صالحة تحبك و اشتقت لك حتى قبل أن تذهب ، يا بني إنك من الأرض المقدسة جنة الله على الأرض و إن حصاة على أرضها أغلى من جواهر الدنيا ، يا بني كيف تترك ابنك الرضيع و ابنتك التي كانت تحضن دراعك لتشعر بالأمان كل ما سمعت صوت رصاص أعداء الله ، يا بني إن المال مهما كبر لن يعوض لك لحظة ضاعت من حياتك لم تقضيها برفقة زوجتك و أولادك ، كلمات أنيسة هذه استقرت في قلب محمد و استيقظ لأمره قبل فوات الأوان ، و اندهش مما يفعله حب المال في الناس فيصبحون و كأنهم مناومون مغناطسيا فيصبح الإنسان يبيع أهله و أرضه و دينه مقابل مبالغ أو مناصب أو إرضاء للأقوياء ، فسرعان ما تذهب الدنيا الخادعة بكل هذا و يبقى العار حليف الخائن إلى يوم القيامة ليحشر به مع القوم الظالمين

قبل محمد يد أمه و حمد الله تعالى عن إطالة عمرها ، و نهض مسرعا إلى غرفته و فتح الغرفة و دخل مترددا ، فإذا به يجد زوجته فاطمة ساجدة تصلي ، فوقف محمد ينتظر فروغها من الصلاة

و ما إن رفعت فاطمة رأسها من على أرض سجودها حتى بدى المكان مبللا بعدة قطارات مائية

و ما إن لاحظ محمد ذلك حتى رفع عينيه لوجه فاطمة مستفسرا بنظرة فاحصة عن سبب البلل ، ليجد محمد عيناي فاطمة كسيل مندفق بالدموع و هي تقرأ القرآن في صلاتها ، و إذا بفاطمة تنتهي من صلاتها لتجد محمد قد قبل رأسها متأسفا و طمأنها قائلا : لا تقلقي فلن أذهب فعملي في أغلى عمل لن يعوضني عن لحظة ضيعتها بعيدا عن زوجة صالحة مثلك ، سامحني فأنا لم أكن أعلم أن وجودك أنت و بيداء و زياد و أمي في حياتي هو حياتي نفسها ، فعتذر محمد لصديقه مروان قائلا : لا أستطيع القدوم معك فلدي أسرة غالية في وطن أغلى

أما حور فبعد أن تزوجت و المستشفى الذي تعمل فيه أغلق تقريبًا بسبب أزمة اقتصادية خانقة فلم يعد يجد المستشفى حتى الضمادات ، و لم يعد الأطباء ولا الممرضين يقبضون أجورهم ، فلهذا تركت حور عملها في المستشفى بناءً على طلب زوجها أحمد ، و بعد أيام بدأت حور تفكر أن تبحث عن عمل و لكن لا عمل إلا لدى اليهود و حور رافضة ذلك و تعتبر هذا إهانة كبيرة ، فجلست حور في بيتها ترعى أمورها

و في أحد الأيام التي كانت مشرقة شمسها و مظلمة في أعين حور ، وصلها الخبر الذي هزها و كسرها و كان ضربة مجيعة

إنه خبر استشهاد زوجها أحمد على يد الاحتلال في إحدى العمليات ، بكت و حزنت و اكتئبت

و عادت لتواصل حياتها راضية بقضاء الله داعيته سبحانه و تعالى أن يتغمض زوجها برحمته و يجعله ممن هم أحياء عند ربهم يرزقون ، و كأن الله سبحانه و تعالى يقول لها بعظامته سبحانه لن أدعك وحيدة لا تخافي فبعد خمسة أيام من وفاة زوجها اكتشفت حور أنها حامل للمرة الأولى و ما هي إلا تسعة أشهر حتى أقبلت مولودة جميلة إن ابتسمت جوازت القمر بطالتها الباهية ، أسمتها حور أمل

فهي أتاتها في مرحلة كانت من أسواء المراحل في حياتها ، فبدأت أمل تكبر كما تكبر بيداء كما يكبر زياد إنه باطل يشيب و حق ينموا ليصبح في القمة بإذن الله سبحانه و تعالى

و كان زوج حور قد أوصها مرة قائلا : إذا كانت كلمتي مسموعة لديك و تحترمنها فلا تتركي الحياة قبل أن تقدمي شيئًا لله و بيته هذا (أي بيت المقدس) ، و بعد موت زوج حور تذكرت كلمته هذه لتصبح مرابطة من المرابطات في المسجد الأقصى المبارك ، إنهن تلك النساء العظيمات اللاتي يطلق عليهن ذهب الأقصى

فمن هن ذهب الأقصى ..... ؟

بداية من السيدة مريم بنت عمران ، و على نهج أم المؤمنين خديجة بنت خويلد سلام الله عليهن

و مكانتهن الخالدة كخلود بيت المقدس و حجارته

جمعينا أو على الأقل معظمنا ، يعرف دور المجاهدين من الرجال الذين بذلوا الغالي و النفيس و الوقت

و الجهد و الدم فداءا للأرض المقدسة و حريتها و حرمتها و كرمتها ، و لكن أغلبنا لا يعرف الحركة النسوية أو نساء فلسطين اللواتي يسمون بذهب الأقصى المبارك و هن أغلى من الذهاب بكثير

في قضية الرباط بالمسجد الأقصى المبارك و حمايته من أعداء الله، فهذه الحركة المباركة الشريفة التي لا يهتم لأمرها أحد ، و حتى الإعلام العربي لم يعطي هؤلاء النسوة حقهن يوما ، فلعلا ذكري المتواضع هذا لهن يذكر أحدا بهؤلاء النسوة العظيمات

كما نعلم أنه على مدار سنين طويلة من الاحتلال الغاصب ظل المقدسيون شوكة في حلق العدو المحتل و حصنا منيعا يصد عن حرمات الله تعالى و حرمات بيت المقدس المبارك و مسرى رسول الله "صلى الله عليه وسلم " ، دون تنظيم أو ترتيب خلاف بعض الأعمال التنظيمية لحركات المقاومة في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، و مع تزايد وتيرة الاقتحامات لساحات بيت المقدس ، و وسط سعي من قبال الاحتلال لتقسيم القدس الشريف تدريجيا ، تقسيما زمانيا و مكانيا كبداية لهدفهم المنشود (الهيكل) ، و وسط تعنت قوات الاحتلال على بوابات المسجد الأقصى المبارك في دخول المصلين ، و تحديد أعمار الداخلين و مواصفاتهم ، و من ثم الاعتقالات و الاقتحامات و التوقيف و المنع ، و بدت أهدافهم واضحة لتهويد المسجد الأقصى المبارك ، فهبت الجموع تلوى الجموع و منع الشباب من دخول الأقصى في معظم الأحيان و سمح فقط لبعض كبار السن و النساء دخوله ، و بدأت محاولة إفراغ بيت المقدس و بعدها بدأت الاقتحامات الصباحية لرجال الدين اليهود في الساعات الأولى من الصباح و حتى قبيل الظهر ، و بدأ الأمر و كأنه سيصبح عرفا أو حقا مكتسبا للإحتلال في المسجد الأقصى المبارك ، في هذه الساعات

و هنا كانت البداية العظيمة

و في عام " 2010 " ، قرر المقدسيون بدأ مرحلة جديدة ممنهجة لدحر أعداء الله و الأمة ، و صد مخطط الاحتلال و إفشاله ، و هنا كان الرباط

ذلك السلاح العظيم المرعب للعدو المحتل ، لم يكن يعلم هؤلاء العزل بأن هذا السلاح العظيم سيكون شوكة في حلق مغتصبي الأرض المباركة ، و الرباط هو ملازمة المسجد الأقصى المبارك و مداومة التواجد فيه و عدم الانصراف عنه ، حتى لا يكون شاغرا وحيدا للعدو المحتل ، و تتم عملية التنسيق بين المرابطين حتى يمتلئ المسجد الأقصى المبارك في كل الأوقات مع ممارستهم أشغالهم اليومية و أدوارهم الطبيعية وهنا تجلى دور المرابطات الفاضلات ، فهن يبدأن في رباطهن من الساعة الأولى في الصباح حيث يدخلن في زيهن الطبيعي و العادي و يحتشدن في وقت مبكر من الصباح ، أي قبل موعد الاقتحامات فإذا ما تم الاقتحام وسط حماية جيش الاحتلال ، تهتز ساحات الأقصى بهتافات المرابطات الفاضلات و تكبيرهن و تبدأ معركة بينهن و بين جنود الباطل ، حتى يفزع المقتحمون و تظل أعدادهم في تناقص من الخوف و الفزع الذي تسببه تكبيرات المرابطات (ذهب الأقصى) و احتشادهن ، و تزايد أعداد المرابطات و أصبحن

ينتهجن أساليب متعددة في دخول الأقصى المبارك و مجابهة الاقتحامات ، كما يشاركهن الرجال المرابطون في ساحات الأقصى المبارك و حوله ، حتى اشتعلت انتفاضة السكاكين و انتشر الهلع و الفزع في قلوب المحتلين حتى وصلت إحصائيات المقتحمين للمسجد الأقصى المبارك إلى أقل نسبة في أحد السنوات الماضية و لم تقف أهداف و أدوار نساء ذهب الأقصى عند هذا الحد بل كان من بين أدوارها التعريف و التوثيق بالمسجد الأقصى المبارك ، و إيصال أخباره للمسلمين المهتمين في كل بقاع الأرض ، فكن صوت الأقصى و لسانه المتكلم و كن يده الباطشة ضد مدنسيه

كن و مازلن جزءا لا يتجزأ من بنيان الأقصى المبارك و أعمدته العظيمة و أشد أعمدته فروحن حفظهن الله تعالى يتحدثن بقضية الأقصى المبارك هنا و هناك ، في التلفاز و في مواقع التواصل الاجتماعي ، و الشوارع و الأزقة حتى صار المسلم الجاهل بقضيته الأولى التي هي مفتاح باقي القضايا و الجاهل بما يحدث لمسجده على علم و إدراك تام بكل حدث صغير أو كبير داخل القدس المحتلة و مسرى الرسول و كل فلسطين من البحر إلى النهر ، فصرى المسلم و المسلمة يشاهدون كل أذان و صلاة و درس علم و اقتحام و ترميم و مواجهات و اعتقالات تحدث في الأرض المباركة و لم يدعن المرابطات الفاضلات شيئًا يغيظ أعداء الله أو ينال منهم إلا و بادروا به فأصبحن يعددن الطعام و الشراب في ساحات الأقصى المبارك و بالتأكيد كل مسلم يهتم لأمر رباط هؤلاء النساء العظيمات لن يخفى عليه مقلوبة

و محشي السيدة هنادي حلواني و السيدة خديجة خويص ، حتى منع الاحتلال دخول هاتين الأكلتين خصيصا ، فهن لا طال ما أغظن أعداء الله بكل السبل و هذا الجانب المشرق و لكن الجانب المؤلم لا بد منه ، فلا طال ما كان هذا الرباط مكلف للغاية لهن فهو يكلف إحدهن روحها و مالها و وقتها ، فقد شرع جيش الاحتلال مواجهة المرابطات بأقصى القوانين الظالمة ما بين اعتقالات متكررة و قرارات بالإبعاد و استدعائات و مضايقات و قطع التأمين الصحي و غيرها مما لا يمكن ذكره ، و ما كان منهن إلا كل صبر و قوة و بأس فما ترجعن و لا ضعفن ، فعملن كل ما يقدرن عليه لبث الرعب و الخوف في نفوس أعداء الله

و في نفس الوقت لا يقصرن في حق بيوتهن ، فهن زوجات صالحات و أمهات حنونات و بنات برات ، و الله سبحانه و تعالى يعلم بجهادهن ، و الأقصى المبارك يعلم بوجدهن و قلوبهن الطاهرة ، فهن بناته و فلذات أكباده ، يباهي بهن يوم القيامة بإذن الله سبحانه و تعالى

هنادي حلواني و خديجة خويص و كثيرات غيرهن ذهب الأقصى المبارك

سيبقين مرابطات على الأرض إلى أن يأتي فتح الله سبحانه و تعالى

و نحن يجب علينا أن لا ننساهن من الدعاء ، فهن من خير ما بقي من أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في وقت أصبح الأقصى المبارك لا قيمة له عند معظمنا و كثيرون من يظنون أن هذه القضية قضية سياسية و لكنها قضية إسلامية بل هي شرف الأمة و كرمتها و عزتها و خيانة هذه القضية قبل أن تكون خيانة لشعب فلسطين الذي لا يحتاجونا فهو يقوى أكثر كل ما اشتدت عليه المحن ، فهو خيانة لله و رسوله صلى الله عليه وسلم

فكيف لعاقل أن يخون الله الذي لن يرى الجنة إلا برحمته و الرسول الذي لن ينال عفو الله تعالى إلا بشفاعته ، و كأنه نسي أوصافهم في القرآن الكريم (لتجدن أشد الناس عدواة للذين آمنوا اليهود) و متى التزموا بعهد لهم (كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) إن تواليهم أمر نهى عنه الله سبحانه و تعالى في كتابه العزيز (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتوالهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)

و شرح هذه واضح و محمي ممن يحاول تهويده ليقول أن الآية تتكلم عن يهود زمان رسول الله و إنه لا تبرير بائس و بالتأكيد من يقول ذلك مختل ، فشرح الآية واضح تماما و لا يحتاج إلى عالم أو متفقيه في الدين فالمعنى هو : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود و النصارى حلفاء و أنصار على إخوانكم المسلمين ذلك أنهم لا يوادون المؤمنين فاليهود يوالي بعضهم بعضا و كذلك النصارى ، و كلا الفريقين يجتمع على عداوتكم ، و أنتم أيها المسلمون ، أجدر بأن ينصر بعضكم بعضا و من يتوالهم منكم فإنه يصير من منهم و من فئتهم ، و حكمه حكمهم ، إن الله سبحانه و تعالى لا يوفق الظالمين الذين يتولون الكافرين ، و كما قال عبد الله ابن مسعود : " إذا سمعت الله تعالى يقول : يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإنه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و نعم بالله و الحمد لله على هذا الكتاب العظيم الذي يحتوي على كل صغيرة و كبيرة ، و من يتخلى عن الأرض الحبيبة المباركة فهو لا يضر إلا نفسه أما وعد الله فهو الأعلى ، و كما قال الداعية محمود الحسنات " إننا نعلم و الله لو طبع العالم كله ما نقص هذا من وعد الله جناح بعوضة " ، فالحمد لله الذي جعل كلمته هي العليا

لم يجد محمد عملا و لكن بعد كلام والدته أنيسة أحس بالكنز الذي بين يديه و نعمة الله سبحانه و تعالى عليه و لكن ما إن بدأت الأسرة تنتهي من مشكل محمد حتى جاءهم من الاحتلال أمر بالإفراغ فلم يستجبوا فتم إخراجهم بالقوة من منزلهم ، و لم يجدوا مكانًا يأوونا إليه سوى منزل حور التي تعيش هي و ابنتها بمفردهن ،، فحور التي أصبحت تعيش وحيدة مع طفلة تبلغ من العمر سنتين

لن تكلمها و لن تفهمها إن شكت لها همومها و كأن الله سبحانه و تعالى ابتلى أسرة محمد و أمه بأعداء الله ليزيل عن حور وحدتها فهي كانت تفكر في أن تذهب للعيش معهم و لكن لو تركت منزلها يوم أو يومين فسيسكنه ما يسمى بالمستوطنين ، و هذا المنزل إرث ابنتها الذي تركه لها والدها ، و كان يجب المحافظة عليه ، فوجود أهل حور في منزلها سيحميه أكثر من الاستطان و سيترك لها فرصة في أن ترابط في بيت المقدس مع المرابطات .

قد تكون حور و أسرتها من وحي الخيال و استعملنهم لنتذكر الأرض الحبيبة دات الشعب العظيم و لو بالقليل مما لا ينفع و لا يضر و لكن هذا ما في أيدنا و الله سبحانه و تعالى شاهد على أن قلوبنا معلقة بالأرض المقدسة

و لكن التخلي عنها أمر مؤلم و عار عظيم أصبحنا نراه ممن لا قيمة لأمر الله سبحانه و تعالى عندهم و متى احترم الغزاة الخائن الذي يتخلى عن أي شيء لإرضائهم ، و هو لا يضر إلا نفسه

" و لن ترضى عنك اليهود و لا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى و لئن اتبعت أهوائهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي و لا نصير "

" صدق الله العظيم "

حفظ الله شعب فلسطين العظيم و الأرض المقدسة من بحرها لنهرها و نحن مؤمنون بأنها باقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها بوعد الله تعالى .

الخاتمة

للكاتب

صلاح الدين الرختوني

_ الكاتب صلاح الدين الرختوني

من مواليد 15أغسطس 2002ببلدة سيدي المختار نواحي شيشاوة بالمغرب

كاتب قصص و سيناريو هاوي و يسعى للإحتراف لا يملك سوى قلمه و إبداعه

عاشق للكتابة منذ الصغر و هي متنفسه الوحيد

الواتس : 212606-099405